

ميشال إدّه الخسارة



فاطمة عبدالله

على النفس. كما سمع من الأب أنه قال للأولاد: "لا تنسوا أنكم موارنة". ذلك ليس من بشاعات التعصب، بل من جماليات التجذّر. "متكامل بأبعاده"، بشهادة البطريك بشارة الراعي، هو "المارونيّ المؤمن بمارونيته واللبنانيّ المؤمن ببلبانيته". أتقن تلميذ اليسوعيين الفرنكوفونيين العربية متأخرًا، لكنّه أصرّ على أبناؤه، متأكدًا على انتماء ومووية. خمسة أبناء منحهم الدفعة على رغم انشغالات العمل والسفر.

حمل في الضمير التعريف بدور لبنان، ومن أجله كانت "المؤسسة المارونية للانعاش"، فكرة تتيح تجذّر الموارنة في الأرض. بقي متطرفًا في مسيحيته المشرقية، حاول المقاربة بين المسيحية والماركسية عند نقطة التقاء واحدة، هي الفقراء. أعطى بلا تمييز وساعد بلا شرط، فجسد قيم يسوع. إنسان صلاة. المرشّح الدائم لرئاسة الجمهورية، تمسك بمبدأ أنّ أحداً لا يمكنه احتكار الحقيقة. جامع النقود والسجاد وزجاجات النبيذ، القارئ النهم ووظريف الجلسات. خسارة كبيرة.

كانّ العالم مساحتان من تناقض: بعضه بركان وبعضه فسحة. كان ميشال إدّه في ذلك المساء، زنيقة تفترش حيّزها. يعدّ جورج غانم، بأناقة الكلمات، وثائقياً يحاكي سيرة رجل يسكنه لبنان القديم بروزه وثقافته. تغيب قائمة لم تبذل قناعاتها وإن تبذل الزمن، فظلّ الإيمان بالوطن فضيلة اللبلاء أمثاله.

غنيّة وثائقيات غانم (إخراج رودي حشاش، "أم تي في")، سرديته نغمات. كذا أمام سيرة رجل ولد ليصل ونشأ لينجز. يتحدّث رئيس الجامعة اليسوعية الأب سليم دكاش عن انتحاح الراحل وإيمانه بالقانون. وهو بكلام مروان حمادة "رمزية وحدة الدولة اللبنانية". أمضى القمر في ترك البصمات، فكان صورة من ضوء عن جبل وحقية وسلم قيم. يعدّ غانم المزايا من الولادة في شباط 1928 إلى مواجهة المرض ورفض الهرطقة أمام خيبة. راودته فكرة أن يصبح راهباً يسوعياً بعد انجذاب إلى الإنجيل واختيار الإيمان العميق. تراجع. حملته الحياة إلى سبك أخرى، تحت عباءة أب لم يفرط في الدلال، بل شدّ وضبط وقدم دروساً في الصبر والاعتماد